مشروعه كل من لورد بيكونسفيلد (دزرائيلي) وسالسبوري(١٩)، وكتب سنة ١٨٨٠ أن الاحداث السياسية في الشرق قد أخذت تتجه نحو فلسطين وخاصة ولايات شرقي الاردن بسبب توسطها الجغرافي بين الاماكن المقدسة قرب الحدود الروسية من الجانب الاسيوي وبين المتوسط والبحر الاحمر .. وبين سورية ومصر .. ولها قيمة ستراتيجية وسياسية . ومن الواضح ان اليوم ليس ببعيد حين سيتحقق تهديد المصالح البريطانية بالخطر بسبب اننا فوتنا فرصة الاهتمام بالاشياء التي يمكن ان تحدث في المستقبل(٢٠). لكن مفاوضات اوليفنت الدبلوماسية فشلت في الاستانة ورفضت السلطات ادخال عنصر جديد(٢١) في المسألة الشرقية بفتح ولاياتها الاسيوية ، وخاصة هذا البلد المقدس ، للهجرة اليهودية الجماعية . وربما كانت المرامي البعيدة وراء تلك المخططات هي التي دفعت السلطات العثمانية الى وضع قيود امام هجرة يهودية جماعية ، والجأت السلطان عبد الحميد الى فصل سنجق القدس عن ولاية دمشق والحاقه بالاستانة مباشرة(٢٢).

زاد تعقيد الموقف نتيجة احتلال بريطانية لمصر ١٨٨٢ . فقد اعطاها ذلك اهتماما اكثر بفلسطين وزاد قلقها في الحصول على دولة صديقة على جانبي الطريق نحو الهند(٢٣)، هذا القلق هو الذي أدى الى اهتمام متعاطف مع الهجرة اليهودية من اوروبا الشرقية الى فلسطين في اوائل الثمانينات وتشجيع جمعيات احباء صهيون وتدخل الممثلين الدبلوماسيين البريطانيين بالاستانة بالاشتراك مع ممثلي فرنسة والولايات المتحدة لتخفيف قيود الدولة العثمانية على الهجرة(٢٤). وربما كانت العقبات التي وضعتها السلطات العثمانية في وجه الاستيطان اليهودي في فلسطين هي التي أدت بالسلطات البريطانية في مصر الى العطف على مشروع فردي لاستيطان يهودي في منطقة تشرف عليها بريطانية قرب فلسطين . يرتبط هذا المشروع بأسم بول فريدمان الذي عرفته جريدة المؤيد (القاهرية للشيخ علي يوسف) في ٩ فبراير ١٨٩٢ « انه يهودي الماني عقد العزيمة على تشييد مملكة اسرائيلية في الاراضي المقدسة .. ووجد من ثروته وثروة كثير من افراد بني اسرائيل في اوروبا عضدا قوى فيه الامل .. وخاصة بعدما حل بقومه وبني مذهبه في الروسية .. » وقد وصل مصر ١٨٩٠ وقابل بعض المسئولين ، وعلى رأسهم السير أفلين بارنج (لورد كرومر فيما بعد) ، وفاتحهم في موضوع الاستيطان اليهودي في بقعة على السواحل الشرقية لخليج العقبة (المعروفة بارض مدين)(٢٥). دلت عودته بعد سنتين على أنه لم يمانع في ما طلب(٢٦). وكان قد اشترى يختا بخاريا اسماه اسرائيل حمل عليه ذخائر ومدافع وعددا من العلماء والمهندسين والكيماويين والجغرافيين وثلاثين عائلة من اليهود المهاجرين(٢٧). وقصد جزيرة العرب قرب جهة الطور عند مكان يسمى (شرما) ونصب لجماعته الخيام في واد قرب مدين التي أراد ان يتخذها عاصمة مملكته الجديدة ، واخذ يتفقد المنطقة لشراء ارض ولقي صعوبات من الاهالي الذين « لم يصدقوا ما كان يخدعهم من أنه يريد الاقامة في جوارهم دون أن يحل بهم أدنى أذى او يلحقهم اقل ضرر خصوصا عندما شاهدوا عنايته بتعليم من معه من المهاجرين الفنون الحربية بالبنادق والمدافع والاسلحة البيضاء »(٢٨). ومع ذلك فقد تمكن من شراء ارض جهة المويلح مع ان قوانين الدولة العثمانية لا تبيح بيع اراض للاجانب في شبه جزيرة العرب(٢٩). فاشتكى وفد من الاهالي الى سلطات مصر دون فائدة فلجأوا الى والي الحجاز العثماني الذي أمر الجند العثمانيين باحتلال قلعة المويلح وما جاورها على اعتبار انها من أملاك الدولة العثمانية ، ولما تقابلوا مع فريدمان وجماعته في جهة ضبه ذكر للقائد العثماني انه مستعمر لها برخصة من الحكومة المصرية وانه « مستعد للحرب »(٣٠). وارسلت وزارة الحربية المصرية عددا من الجنود المصريين الى ضبه والتقت بالقوة العثمانية وكاد يحدث خلاف في منطقة الحدود الفاصلة بين مصر وتركيا ، وبدأت الاتصالات بين مصر والاستانة ولندن لحل المشكلة . وقد حاولت جريدة